

التمائل الصوتي في بعض الظواهر اللهجية الشاذة عند العرب

بسام فياض عواد العظامات (1)*

تاريخ نشر البحث: 2026/05/02م

تاريخ قبول البحث: 2023/11/06م

تاريخ وصول البحث: 2023/07/03 م

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة صور التماثل الصوتي في بعض لغات العرب الشاذة التي شكلت جزءاً مهماً من رصيدنا اللغوي في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث وقوانينه الصوتية؛ بهدف الوصول إلى تفسيرات منطقية لهذه الظواهر. لقد كان للتماثل الصوتي دور في ظهور تغيرات صوتية تهدف إلى تحقيق الانسجام والتقارب بين الأصوات، لتحقيق الخفة في النطق والسهولة التي يبحث عنها المتكلم، إلا أن هذا التفسير لم يطرد في بعض لغات العرب الشاذة، فظهر بصورة مغايرة في حالات الإبدال والإدغام، مما يسوغ الوقوف عند ظواهرها وتحليلها في لغات العرب المختلف فيها. وتقوم هذه الدراسة على جمع صور التماثل الصوتي في بعض لغات العرب الشاذة من كتب اللغة المختلفة وتصنيفها، والتعرف على خصائصها؛ مما يضع بين أيدينا تصوراً واضحاً للطبيعة اللغوية في أنحاء الجزيرة العربية خلال فترة جمع اللغة من أفواه الأعراب مقارنة باللغة الموخدة التي ظهرت في الشعر أو النثر، وتظهر الدراسة الفرق بين مصطلحي المماثلة الصوتية والتمائل الصوتي، وتقوم على تحليل وتفسير ظواهرهما. الكلمات المفتاحية: المماثلة، التماثل الصوتي، اللغات الشاذة.

The Phonetic Symmetry in some Arab Eccentric languages

Abstract

This study aims to investigate phonetic symmetry issues in some eccentric dialects of the Arabs in light of modern phonological studies and to analyze them according to the data of phonetic analysis in order to reach rational interpretations of these phenomena.

Phonetic symmetry played a role in the emergence of phonetic changes aimed at achieving harmony between sounds in order to achieve the lightness and ease that the speaker seeks. However, this explanation was not applied to some abnormal dialects of the Arabs.

This study is based on collecting some eccentric dialects of the Arabs from various linguistic books, classifying them, and identifying their most prominent characteristics. This can provide us with a conception of the linguistics of their life throughout the Arabian Peninsula during the period in which the language was collected from the mouths of the Arabs themselves, compared to the unified language that appeared in poetry or prose. Finally, the findings of this study showed the difference between phonetic asymmetry and assimilation in some eccentric Arab dialects and analyzed their phenomena.

Keywords: Assimilation, Phonetic Symmetry, Eccentric Dialects

(1) باحث مستقل، وزارة التربية والتعليم، الاردن.

* الباحث المستجيب: BASSAM111806uhad_78@gmail.com

المقدمة

تتأثر الأصوات اللغوية أثناء الأداء النطقي ببعضها تأثراً يؤدي إلى حدوث تغيرات صوتية على هذه الأصوات نتيجة لمجاورتها، فتتغير مخارجها أو صفاتها، ويختلف مستوى التأثير اعتماداً على الخصائص الصوتية للصوت من ناحية، وطبيعة الأداء النطقي اللهجي للمتكلم من ناحية أخرى، وقد يرتفع مستوى هذا التأثير ليصل إلى ما يسمى في علم الأصوات بالمماثلة الصوتية.

وتختلف الظاهرة الصوتية الناتجة عن مستوى تأثير قانون المماثلة وفق مستوى التأثير الذي قد يصل على التماثل الكلي؛ فتحدث ظاهرة الإدغام، وأحياناً لا يصل مستوى التأثير إلى هذا المستوى من التماثل؛ فتتقارب الأصوات من بعضها في المخرج أو الصفة، فيحدث تماثل جزئي يتغير فيه الصوت إلى صوت آخر، فيطلق على هذا التماثل الجزئي مفهوم الإبدال، وقد يكون التأثير ناتجاً عن صوت غير الصوتين المتأثرين، فيكون تعريف دانيال جونز (Denial Jones) للمماثلة أكثر شمولاً، فيعرفها بأنها: "عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة." (1)

إلا أنّ عمليات الإبدال التي تؤدي إلى الإدغام بين التماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين دون أن يكون هنالك مؤثر ثالث لا تعد مماثلة صوتية، بل هي عملية تماثل صوتي تقدمي أو رجعي، وينتهي بتماثل كلي في عملية الإدغام بعد حذف الحركة بين الصوتين، وهذا ما نقدم له.

فلم تطرد قوانين تحقيق التماثل الصوتي في لغات العرب الشاذة، فبعض الظواهر النطقية ظهرت في أكثر من لغة من لغات القبائل، وظاهرة حصرها في قبيلة دون أخرى تحتاج إلى تحقيق واستقراء، ويظهر ذلك في صور التماثل الصوتي في لغات العرب التي خرجت على قاعدة إبدال الأضعف للأقوى في بعض البيئات النطقية، ولكنها في المقابل حافظت على التقارب في المخارج والصفات عند تأثر الأصوات.

وتظهر أهمية الدراسة في الحاجة إلى دراسة جزء من التراث اللغوي المسموع المختلف فيه الذي أحاط به صمت النحاة من ناحية، أو خلافهم في استعماله أو منعه من ناحية أخرى في مقارنة قائمة على تعديد بعض هذه الظواهر اللغوية،

(1) المصاروة، جزاء محمد (2017م)، المماثلة في العربية/ رؤية جديدة، مج(44):ع(3)، الأردن: مجلة دراسات، ص 190.

اعتماداً على القوانين الصوتية التي قَدّمها علم اللغة الحديث، وتظهر أيضاً في دراسة جانب لغوي أغفله اللغويون القدامى والمحدثون نتيجة انهماكهم في التقعيد اللغوي اعتماداً على المطرد من الكلام، والاكتفاء بالإشارة إلى اللغات المختلف فيها بأنها لغة أو لغة شاذة، أو لغة لا يقاس عليها، فيكتفون بالوصف دون التفسير.

أما الدراسات السابقة دراسة ضاحي عبد الباقي بعنوان: (لغة تميم/ دراسة تاريخية وصفية) نشرت عام 1985م، ورصد فيها المظاهر اللهجية للغة قبيلة تميم، ولم أقف على دراسة بهذا العنوان، إلا أنني وجدت بحثاً يتناول تقعيد اللغات المختلف فيها في النحو العربي بعنوان: " تقعيد اللغات في النحو العربي " لإبراهيم بن سلمان نشره في العدد 36 من مجلة العلوم العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود عام 2015م حاول فيه حصر بعض اللغات المختلف فيها، متحدثاً عن موقف النحاة من التقعيد عليها.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت الفرق بين المماثلة الصوتية والتماثل الصوتي، بحث بعنوان: (التماثل عند سيبويه) لموسى الموسوي في مجلة جامعة بابل في العدد الثاني عام 2002م، وهي دراسة وصفية لظواهر التماثل الصوتي في كتاب سيبويه، وتناول فيه التماثل الصوتي الناتج عن الإبدال والإدغام دون التمييز بين مصطلحي المماثلة والتماثل الصوتي.

ومن الدراسات السابقة أيضاً التي ميزت بين التماثل الصوتي والمماثلة الصوتية بحث لجزء المصاروة بعنوان (المماثلة في العربية/ رؤية جديدة) نشر في المجلد الرابع والأربعين من العدد الثالث في مجلة دراسات في الأردن عام 2017م، ويعد من أكثر الدراسات تمييزاً بين المصطلحين، ومنها أيضاً رسالة دراسة بعنوان (المماثلة والمخالفة بين القراء والنحاة) لمبارك بلالي في جامعة أبي بكر القايد في الجزائر عام 2003م، تناول فيها الباحث ظواهر المماثلة والمخالفة الصوتية، مقارناً بين الكسائي وسيبويه.

وتمثل هذه الدراسة إنموذجاً تطبيقياً يوضح الفرق بين التماثل الصوتي والمماثلة الصوتية من خلال دراسة مظاهره في بعض لغات العرب الشاذة التي خالفت معايير التقعيد اللغوي، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي بعد استقراء الظواهر اللغوية المختلف فيها الذي يتلاءم مع علم اللغة الحديث، موظفة القوانين الصوتية الحديثة وتفسيراتها، هذه القوانين المبنية على أسس علمية، وذلك إيماناً بالعلاقة الوثيقة بين فروع علم اللغة، واعتماد كل فرع على الآخر.

– التماثل الصوتي بين الكاف والشين في لغة ربيعة ومضر

يطلق اللغويون على هذه الظاهرة اسم الكشكشة، فهي عملية صوتية تبدل فيها كاف المؤنث شيئاً؛ للتفريق بينها وبين كاف المذكر، وذلك لأن كسرتها لا تظهر في الوقف، فيقول سيبويه: "فأما ناسٌ كثير من تميم وناسٌ من أسدٍ فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين. وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث؛ وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة؛ فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف؛ كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا: ذهبوا وذهبن، وأنتم وأنتن. وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها؛ لأنها مهموسة كما أنّ الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق. وذلك قولك: إنش ذاهبةً، ومالش ذاهبة، تريد: إنك، ومالك." (1)

ويظهر لنا في المسألة السابقة التي يناقش فيها سيبويه لإبدال الكاف شيئاً في المؤنث، فالفصل بين المذكر والمؤنث بإبدال الكاف شيئاً، وبالقرينة اللفظية (تاء التأنيث) التي احتواها الخبر في الجملة الأولى، وبالحال في الجملة الثانية (ذاهبة)، فصرفت الكاف للمؤنث من ناحية، كما أنّ الوصل أقوى من الوقف في هذه الكاف المكسورة المبدلة شيئاً من ناحية أخرى.

وقد تكون أمثلة المبرد أكثر دقةً في تفسير هذه الظاهرة، فالقرائن التي تدلّ على المؤنث اختفت، والوقف متحقق، وذلك في نحو قوله: (جَعَلَ اللهُ لَكَ الْبِرْكََةَ فِي دَارِشٍ، وَيُحَكِّ مَالِشٍ)، فيقول: "فإن بني عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقت عليها أبدلت منها شيئاً، لقرب الشين من الكاف في المخرج، وأنها مهموسة مثلها، فأرادوا البيان في الموقف، لأنّ في الشين تشبيهاً، فيقولون للمرأة: جَعَلَ اللهُ لَكَ الْبِرْكََةَ فِي دَارِشٍ، وَيُحَكِّ مَالِشٍ... والتي يقفون عليها يبدلون شيئاً." (2)

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان (1988م)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص 199.

(2) المبرد، محمد بن يزيد (1997م)، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، (ط3). القاهرة: دار الفكر العربي، ص 166.

ويصف السيوطي نوعاً آخر من الكشكشة في لغة ربيعة ومضر لا تبدل فيها الكاف شيئاً، بل تزداد شيئاً بعد الكاف، فيقول: "الكشكشة وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً فيقولون: رأيتكش وبكش وعليكش فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضاً، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويُسكِّنها في الوقف فيقول: منش وعليش".⁽¹⁾

ويظهر لنا عند المقارنة بين الصورتين السابقتين للكشكشة أن عدد المقاطع الصوتية في حالة إضافة الشين بعد الكاف أكثر منها في حالة الإبدال، فطول الكلمة أدى إلى ظهور المقطع الصوتي المتحرك القصير قبل المقطع الصوتي المتوسط المغلق بصامت عند الوقف، ويظهر ذلك كما يلي:

رأيتكش ← ra'aytukiš ← ص / ح / ص / ح / ص / ح / ص
 رأيتش ← ra'aytiš ← ص / ح / ص / ح / ص / ح / ص

ويفسر علماء اللغة المحدثون هذه الظاهرة بقانون الأصوات الحنكية، الذي توصل له علماء اللغات عند مقارنتهم اللغة السنسكريتية باليونانية واللاتينية، فالتناظر الصوتي بين أصوات أقصى الحنك ووسطه متأثرة بالكسرة بعدها هو تفسير هذا الإبدال الصوتي، يقول إبراهيم أنيس: "فقد لاحظوا أن أصوات أقصى الحنك "كالكاف" و" الجيم" الخالية من التعطيش، تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي (كالكسرة)؛ لأن صوت اللين الأمامي في مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات الحنك، فتتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحلق وأصول التنايا العليا...، فالكشكشة التي عاشت في بعض اللهجات العربية القديمة ليست إلا ظاهرة لغوية شوهدت في كثير من لهجات العالم، وهي قلب الكاف التي يليها صوت لين أمامي، أي كان موضعها في الكلمة، إلى نظيرها من أصوات وسط الحنك".⁽²⁾

ويطلق يحيى عابنة على هذه العملية الصوتية مصطلح (التغوير Palatalization)، فالصوت الناتج في هذا الإبدال هو صوت مركب بين الجيم والكاف (تش)، وهو ناتج عن عملية التغوير نفسها، فالنظير المهموس للشين المجهورة،

(1) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (1998م)، المزهرة في علوم اللغة، ج1، تح: فؤاد علي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، ص176.

(2) أنيس، إبراهيم (2003م)، في اللهجات العربية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 108.

وهو الشين نفسها، ومن هنا يمكننا الحكم على الكاف التي بين الجيم والكاف، وهي هذا الصوت المركب، وهذه هي الكشكشة.(1)

- التماثل الصوتي بين الحاء والعين في لغة هذيل وثقيف وأسد

يقع الإبدال بين صوتي الحاء والعين في لغة هذيل وثقيف، وتسمى هذه الظاهرة الصوتية الفحفة، ولم تكن هذه العملية الصوتية اعتباطية، بل تحدث نتيجة لمجموعة من العوامل المشتركة بين الصوتين، فالتقارب بين الصوتين في المخرج الحلقي ساهم في هذا الإبدال الصوتي بالرغم من أن الحاء صوت مهموس رخو، والعين صوت مجهور لين.

وقد وصفت أنها لغة هذيل حتى أصبحت تلتصق بهم (فحفة هذيل)، بالرغم من وجودها عند غيرهم من القبائل، ولعل المثال المشهور المتداول في ذلك (حَتَّى حين) في قراءة ابن مسعود وقصته مع عمر بن الخطاب هو سبب في حصر دائرة هذه الظاهرة في هذيل، فيقول ابن جني: "من ذلك ما روي عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ: "عَنَى حِينَ"، فقال: مَنْ أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إِنَّ الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام.. قال أبو الفتح: العرب تُبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج، كقولهم: بُحَيْر ما في القبور؛ أي: بُعَيْر، وَضُبِعَت الخيل؛ أي: ضُبِحَت، وهو يُحْنِظِي وَيُعَنْظِي: إذا جاء بالكلام الفاحش، فعلى هذا يكون عَنَى وَحَتَّى؛ لكن الأخذ بالأكثر استعمالاً."(2)

ويخرج الفراء هذه الظاهرة من نطاق قبيلة هذيل إلى لغة قبيلة أخرى هي قبيلة أسد، ففي حديثه عن قراءة في قولها تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات:9) "رأيتها في مصحف عبد الله: ﴿إِذَا بُحَيْرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾، وسمعت بعض أعراب بني أسد، وقرأها فقال: «بُحَيْر» وهما لغتان: بُحَيْر، وَبُعَيْر."(3)

(1) انظر: عابنة، يحيى(2015م)، التدرج الصوتي القائم على الأفضلية في دراسات العلماء العرب، م12، ع2، مجلة اتحاد الجامعات العربية، 2015م، ص428.

(2) ابن جني(1992م)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، تح: علي السعدي وعبدالفتاح شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص343.

(3) الفراء، يحيى بن زياد (1983م)، معاني القرآن، ج3، تح: أحمد النجاتي وآخرين، ط1، الدار المصرية، القاهرة، ص286.

ويحصر ابن منظور في لسان العرب البعد المكاني القبلي لهاتين اللغتين، فيرى أن عَتَى هذلية وثقفية، فيقول: "كلّ العرب يُقولون حَتَّى إِلَّا هُدَيْلًا وَتَقِيْفًا فَإِنَّهُمْ يُقُولُونَ عَتَى".⁽¹⁾

أما موقف المحدثين فيظهر في حديث تشيم رابين عن هذه الظاهرة في هذيل، مقارناً بين الشواهد التي شاعت بين النحاة نحو (عَتَى حين)، وبين ما ذكره الفراء (بُعْثِرَ - بُحْثِرَ)، فيربط إبدال الحاء بالعين في (حَتَّى) بالتأثر التاريخي في إبدال الحاء عيناً في الساميات من ناحية، وبالمماثلة الصوتية بالصوت المهموس التاء في (بُعْثِرَ)، ويفصل في ذلك فيقول: "ومن ناحية ثانية فإن كل شقيقاتها من اللغات توجد فيها عين في كلمة (حتى): العربية الجنوبية عد d وعداي dy، وفي العبرية عد، عاذي، الخ، ومع ذلك ربما لا يكون لحتى أية صلة اشتقاقية ب: عد (ي)، والعربية الغربية، ولو لسبب جغرافي فقط ينبغي أن تكون قد استخدمت (عَدَي adai) في وقت ما، وصيغة هذيل من ثم لا بد أن تكون في منزلة وسطى بين الاثنين...، وقد سمع الفراء القراءة نفسها من أحد بني أسد (بُعْثِرَتْ/ بُحْثِرَتْ)، وفي مثل هذه الحالة قد يرجع نطق الحاء إلى المماثلة مع الصوت المهموس التاء."⁽²⁾

فنلاحظ أن تعامل ابن مسعود مع إبدال الحاء عيناً في (حَتَّى) دون إبدال حاء (حين) يطرح فكرة خصوصية (حتى) بهذا الإبدال، ويناقش عبدالصبور شاهين هذا الملح مقارناً بين إبدال في (حَتَّى)، والإبدال (بُعْثِرَ)، فيقول: "والواقع أنّ ابن مسعود فيما يتعلق بالفحفة يقف موقفاً يدعو إلى التأمل، فإذا كانت هذه الظاهرة تعني قلب الحاء عيناً، فقد ورد عنه ذلك في كلمة (حَتَّى) فحسب، من قوله: (حَتَّى حين) رويت عنه (عَتَى حين)، ويترك حاء (حين) دون قلب...، ومن الممكن أن نرد هذا التناقض الظاهري بأن نعتبر أنّ قراءة (بُحْثِرَ) في (بُعْثِرَ) من باب المماثلة التي تجري على لسان البدو الحضر، فلا ارتباط لذلك بظاهرة الفحفة أو نقيضها."⁽³⁾

ولا تَوَدِّي ظاهرة إبدال الحاء عيناً (الفحفة) إلى أيّ محذور مقطعيّ، بل هي جهر لصوت الحاء؛ ليكون أكثر وضوحاً في السمع، فتقارب المخرج الحلقويّ، والصفات المشتركة بينهما كالاستغال والانفتاح والإصمات كلها مسوغات لهذا

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم (1993م)، لسان العرب، ج15، ط1، دار صادر، بيروت، مادة (عنا).

(2) رابين، تشيم (2002م)، اللهجات العربية القديمة في الجزيرة العربية، تر: عبدالكريم مجاهد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ص 173-174.

(3) شاهين، عبد الصبور (2007م)، تاريخ القرآن، ط3، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ص 170-171.

الإبدال، وإبدال ابن مسعود تأثر بلهجة قومه قد لا يستطيع أي متكلم آخر تحقيق هذا الجهد الصوتي الذي ينطلق من السهولة إلى الصعوبة، وبقيت عدد المقاطع كما هي، فجاءت (حتّى) مكونة من مقطعين متوسطين؛ أحدهما متوسط مغلق بصامت، والآخر متوسط مفتوح، ويظهر ذلك في الكتابة الصوتية كما يلي:

حَتَّى ← attāḥ ← ص ح ص / ص ح ح
عَتَى ← ,atta ← ص ح ص / ص ح ح

– التماثل الصوتي بين العين والنون الساكنة في لغة (سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار)

تعرض العين الساكنة إلى الإبدال نوناً ساكنة إذا جاورت الطاء، وأطلق اللغويون على هذه الظاهرة مصطلح الاستنطاء، وهي ظاهرة تطرح إشكالية صوتية عند تفسير سبب التماثل الصوتي بينهما، فالعين من أدنى المخارج التي تبعد عن مخرج النون الساكنة، فالتقارب في المخرج والصفة لا يتحقق لوقوع هذا الإبدال، فتنبه السيوطي إلى أثر مجاورة الطاء للعين كمؤثر خلفي في العين، وينسب هذه الظاهرة إلى مجموعة من القبائل، فيقول: "ومن ذلك الاستنطاء لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار، يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ك (أَنْطَى) في (أَعْطَى)".⁽¹⁾

والأمر اللافت أنّ هذه الظاهرة ليست مطردة في كل عين ساكنة متبوعة بطاء، بل هي مختصة ب (أَعْطَى) ومشتقاتها، كما أنّ التماثل الصوتي بين الأصوات لا يُعدّ العلاقة بين العين والطاء من علاقات التماثل الصوتي، فيقول ابن جني: "أصل القلب في الحروف، إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء، والذال والطاء والتاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تداننت مخارجه، فأما الحاء فبعيدة من التاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها".⁽²⁾

ومن الأدلة على صدق وجود هذه الظاهرة ورودها في القراءات القرآنية، فقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قرأ في سورة الكوثر: ﴿أَنْطِينَاكَ﴾ في ﴿أَعْطِينَاكَ﴾ (الكوثر: 1)، يقول الكرمانى: "وعن أبي والحسن وابن مسعود ﴿إِنَّا أَنْطِينَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ بالنون لغة".⁽³⁾

(1) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (2006م)، الاقتراح في أصول النحو، ط2، دار البيروتي، دمشق، ص 155.

(2) ابن جني، عثمان بن جني (2000م)، سر صناعة الإعراب، ج1، مرجع سابق، 193.

(3) الكرمانى، محمد بن أبي نصر (2001م)، شواذ القراءات، تج: شمران العجلي، ط بلا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 525

وقد وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيذكر ابن الأثير في النهاية أن الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ أبدل العين الساكنة نوناً في أنطيناك، فلم يخرج عن خصوصية اللفظ، فيقول: «فِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ «لَا مَانِعَ لِمَا أَنْطِنْتَ، وَلَا مَنْطِي لِمَا مَنَعْتَ» هُوَ لُغَةٌ أَهْلِ النِّيمَنِ فِي أُعْطَى، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «الْيَدُ الْمُنْطِيَةُ خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّقْلَى»، وَمِنْهُ كِتَابُهُ لُوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ "وَأَنْطُوا النَّبْجَةَ".⁽¹⁾

وتُظهر الكتابة الصوتية والمقطعية هذا الإبدال دون تأثر صورته المقطعية في الحالتين، فتتكون الكلمة من أربعة مقاطع: ثلاثة منها من النوع المتوسط المفتوح والمغلق، وواحد من النوع القصير مقابل لصوت كاف الخطاب كما يلي:

أُعْطَيْنَاكَ ← 'a,ṭaynāka ← ص ح / ص / ص ح ح / ح ص ح
 أَنْطَيْنَاكَ ← 'ṭaynākanā ← ص ح / ص / ص ح ح / ح ص ح

واختلف المحدثون في هذه الظاهرة، فيرفض إبراهيم أنيس ذلك، ويرى أنها عملية وهم سمعي نتيجة نطق العين نطقاً أنفياً، فيقول: "ويظهر أن الأمر لم يكن مقصوراً على الفعل "أعطى"، بل يتعلّق بنطق كل "عين" سواء وليها "طاء" أو صوت آخر، فلعلّ من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصيغة خاصة نطقاً أنفياً، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون، وليست في الحقيقة نوناً بل هي عين."⁽²⁾

وقد يكون رأي إبراهيم السامرائي الذي يتحدّث عن أصل مفترض لا وجود للعين فيه أصلاً أكثر قبولاً، إذ إن أصل الفعل هو (أتى)، وقد تعرّض لحالة صوتية فُكّ فيها الإدغام كما حدث في الفعل (جدل - جندل)، فأبدلت التاء نوناً، فيقول: "ملك الأمر في هذه النون أنّها لم تكن مقابلة للعين في أعطى، وإنما جاءت من أنّ الفعل هو (أتى) بمعنى (أعطى) ثم ضعف فصار (أتى) بتشديد التاء، ومعلوم أنّ فك الإدغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية يقتضي إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين كما تقول في العربية (جندل) من (جدل) بتشديد الدال وهذا معروف."⁽³⁾

ويعتمد السامرائي في تفسيره هذا على تفسير أبي حيان الذي يرى أن كل مفردة منهما (أُطَى، وأُعْطَى) أصل بذاته، وينفي وقوع البديل بينهما، يقول أبو حيان: " قَالَ أَبُو الْفَضْلِ الرَّازِيُّ وَأَبُو زَكَرِيَّا التَّبْرِيْزِيُّ: أَبْدَلْ مِنَ الْعَيْنِ نُونًا فَإِنْ عَنِ النَّوْنِ

(1) ابن الأثير، المبارك بن محمد (1979م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر الزاوي و محمود الطناحي، ج5، المكتبة العلمية، بيروت، ص 76.

(2) أنيس، إبراهيم (2003م)، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص 123.

(3) السامرائي، إبراهيم (1961م)، دراسات في اللغة، ط1، مطبعة العاني، بغداد، ص 218.

في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن، وإن عنيا البَدَل الصَّنَاعِي فَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّغَتَيْنِ أَصْلٌ بِنَفْسِهَا لَوْجُودِ تَمَامِ التَّصَرُّفِ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ، فَلَا يَقُولُ الْأَصْلُ الْعَيْنُ، ثُمَّ أُبْدِلَتِ النُّونُ مِنْهَا. (1)

وقد يكون أبو حيان قد تأثر برأي ابن جني في قضية الأصل في قوله: "فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعاً أصليين كل واحد منهما قائم برأسه" لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دلّ دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة، وصير إلى مقتضى الصنعة، ...، ومن ذلك قولهم: هَتَلْتُ السماءَ وَهَتَّتَتْ: هما أصلان، ألا تراهما متساويين في التصرف، يقولون: هَتَلْتُ السماءَ تَهْتِنُ تَهْتَانًا، وَهَتَلْتُ تَهْتَلُ تَهْتَالًا. (2)

وقد يكون السر في ذلك عدم استقرار الأصوات الحلقية في اللهجات العربية منذ القدم، فتتبادل بعضها موقع بعض، إلا أنّ هذا التبادل بعيد المخرج بين العين والنون يخرج عن هذه القاعدة، وقد يفسره قانون التطور التاريخي نتيجة المؤثرات الخارجية كما سبق.

– التماثل بين الياء والجيم في لغة بني سعد

يتحدث اللغويون عن ظاهرة إبدال الياء جيماً، ويطلقون عليها مصطلح (الجعجة)، ويشير سيبويه إلى هذا الإبدال، فيقول: "أما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفيفة، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميمي، وهذا علج، يريدون: علي. وسمعت بعضهم يقول: عربانج، يريد: عرباني... (3)

نلاحظ أنّ هذا الإبدال بين صوتي الياء والجيم مسوغ، فهما متحداً في المخرج من الغار، ويشتركان في صفة الجهر، حيث تهتز الأوتار الصوتية عند النطق بهما، ويختلفان في بعض الصفات، فيميز رمضان عبدالنواب بينهما، فيقول: "والفارق الوحيد بينهما، هو أنّ الجيم من الأصوات التي تجمع في نطقها بين الشدة والرخاوة، أو بعبارة أخرى بين الانفجار والاحتكاك، أما الياء فهي من الأصوات المتوسطة، التي فيها بعض الرخاوة، أو بمعنى آخر تنطق بشيء من الاحتكاك. (4)

وينسب السيوطي في المزهرة هذه اللغة إلى قضاة، ويرى أنّها خاصة بالياء المشددة، وليست خاصة ببني سعد،

(1) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (1999م)، البحر المحيط في التفسير، ج10، ط1، دار الفكر، بيروت، ص 556.

(2) ابن جني، عثمان بن جني (2006م)، الخصائص، ج3، ط4، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص 84.

(3) سيبويه (1988م)، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص 182.

(4) عبدالنواب، رمضان (2010م)، فصول في فقه اللغة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 132.

فيقول: "ومن ذلك العَجَجَة في لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون في تميمي تميمج." (1)

نلاحظ عند دراسة الجانب الصوتي المقطعي لهذا الإبدال أنه مختص بالوقف، فالياء التي أبدلت هي صائت طويل، وليست ياء ساكنة، وقد أشار إلى ذلك إبراهيم أنيس، فيقول: "ويظهر أنّ الياء فيما ساقوه من أمثلة، لم تكن في نطق القضاعيين ياء مد، بل كانت صوتاً ساكناً... حتى يمكن أن نتصور قلبها إلى جيم." (2)

ويظهر ذلك في الكتابة الصوتية، فقد تحول المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) إلى مقطع صوتي متوسط مغلق بصامت، فحول الصائت الطويل (ī) إلى صامت (j) في حالة الوقف:

علي ← ← alī، ص ح / ص ح ح
علج ← ← alij، ص ح / ص ح ص

وما زالت هذه الظاهرة واضحة في بعض اللهجات السائدة في دول الخليج العربي، ومن لهجات جنوب العراق والكويت من يبدل الجيم ياءً في بداية الكلمة وفي وسطها وفي نهايتها، فيقولون: (ياء / جاء / اليامعة / الجامعة / دياي / دجاج).

أولاً: التماثل الصوتي بين ألف الاسم المقصور والياء عند إضافته إلى ياء المتكلم في لغة هذيل:

اصطدم اللغويون بما يخالف مقاييس تعييدهم للفصحى عند إضافة الاسم المقصور إلى ياء المتكلم في لغة هذيل، فالأصل ألا تقلب ألف المقصور ياءً عند إضافته إلى ياء المتكلم نحو: (عَصاي، وبُشْرَي)، إلا أنّ لغة هذيل تقلب هذه الألف ياءً وتدغمها في ياء المتكلم، فيقولون: (عَصَي، وبُشْرَي).

فيعمل سببويه ذلك بقوله: "اعلم أنّ الياء لا تُعَيَّرُ ألف، وتحركها بالفتحة لئلا يلتقي ساكنان وذلك قولك: بُشْرَي، وهُدَاي، وأَعْشَاي، وناسٌ من العرب يقولون: بُشْرَي وهُدَى، لأنّ الألف خفية، والياء خفية، فكأنهم تكلموا بواحدة فأرادوا التبيان، كما أنّ بعض العرب يقول: أفعى لخباء الألف في الوقف، فإذا وصل لم يفعل. ومنهم من يقول: أفعي في الوقف والوصل، فيجعلها ياء ثابتة." (3)

نلاحظ من كلام سببويه أنّ ياء المتكلم لا تُقَلَّبُ الألف، وتحركها بالفتحة خشية التقاء الساكنين في المقصور المضاف إلى ياء المتكلم، إلا أنّ بعض العرب الذين ذكروهم دون نسبة هم من يقلبون ألف المقصور ياءً ويدغمونها في ياء المتكلم

(1) السيوطي (1998م)، المزهر، ج1، مرجع سابق، ص 176.

(2) أنيس، إبراهيم (2003م)، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص 110.

(3) سببويه (1988م)، الكتاب، ج3، مرجع سابق، ص 413-414.

معللاً ذلك بخفاء الألف والياء الذي يفرض نطقهما معاً للتبيان، وفي هذه الحالة تم التحول من المقطع المتوسط المفتوح المنتهي بصائت طويل إلى مقطع متوسط مغلق بصامت، وتظهر هاتان الحالتان في الكتابة الصوتية كما يلي:

عصاي ← ← aṣāya ← ← ص ح / ص ح / ص ح
عَصَي ← ← aṣaya ← ← ص ح / ص ح / ص ح

ويفسر هذه الظاهرة الأخفش في معاني القرآن متأثراً في ذلك برأي سيبويه، فيقول: "أما قوله ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة:38)، فانفتحت هذه الياء على كل حال لأنَّ الحرف الذي قبلها ساكن، وهي الألف التي في "هُدَى"، فلما احتجت إلى حركة الياء حركتها بالفتحة لأنها لا تحرك إلا بالفتح، ومثل ذلك قوله ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ (طه:18)، ولغة للعرب يقولون "عَصَيَّ يَا قَتِي" و ﴿هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة:38) لما كان قبلها حرف ساكن وكان ألفاً، قلبته إلى الياء حتى تدغمه في الحرف الذي بعده فيجرونها مجرى واحداً وهو أخف عليهم." (1)

وتظهر فكرة التماثل الكلي الرجعي بتأثير ياء الإضافة كمؤثر خلفي في الألف في فكر الزجاج في تفسيره لهذه الظاهرة اللهجية، فيقول: "فإنما قلبت الألف إلى - الياء، للياء التي بعدها، إلا أن شأن ياء الإضافة أن يُكسر ما قبلها، فجعل بدل كسر ما قبلها - إذ كانت الألف لا يكسر ما قبلها ولا تكسر هي - قلبها ياءً. وطِيءٌ تقول في هُدَى وَعَصَا وَأَفْعَى وما أشبه هذا في الوقف هُدَيَّ وَعَصَيَّ (وأفعى)، بغير إضافة." (2)

ويطرح علماء اللغة المحدثون فكرة الأصل القديم، فهل كان بالألف أم بالياء؟ وهل هنالك علاقة مع الياء القديمة المفتوح ما قبلها في اللغات السامية؟ فالأصل اليائي والواوي هو السائد في كثير من الكلمات التي تطوّر فيها هذا الأصل إلى الألف، فأفعى أصلها أفَعَو، وعصا أصلها عَصَو، وهنا نميل لرأي رايبين الذي يفسر ذلك باحتفاظ اللهجات العربية القديمة بالياء المفتوح ما قبلها في نهاية الجمل دون إعلال، فيقول: "تقول هذيل عَصَيَّ بدلا من عصاي، وشببه بذلك أيضا (قَفَيَّ، وهُدَيَّ، وهَوَيَّ)...، والياء المفتوح ما قبلها القديمة التي تنتهي بها الأسماء في السامية الأولى، قد أُحتفظ بها هنا كما هو الحال في العربية الفصحى في : عليك وعليّ... إلخ في اللهجات التي تقع خارج دائرة اللهجات العربية الغربية أصبحت الياء المفتوح ما قبلها التي تنتهي بها الأسماء وحروف الجر، بناء على قانون صوتي، مميّزا لتلك اللهجات...، احتفظت اللهجات

(1) الأخفش، أبو الحسن المجاشعي (1990م)، معاني القرآن، ج1، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 76.
(2) الزجاج (1988م)، معاني القرآن، ج1، مرجع سابق، ص 118.

العربية الغربية بالياء المفتوح ما قبلها منفردة في نهاية الجملة، وعليه فلا أساس لإدخال الفتحة الطويلة (الألف) في الصيغ المضافة، وعلينا كذلك أن نفترض أنه لم يُقَل في العربية سوى (عَصِيَّ وَعَصِيَّكَ...) (1)

ويعد توهم الأصل الألفي سبباً في حديث النحاة عن قلب الألف ياء في لهجة هذيل طلباً للمماثلة بينها وبين ياء المتكلم، وقد نتجت هذه المماثلة بإدغامهما، فيتحدث عبد الجواد الطيب عن ذلك، فيقول: "ثم إن قولهم: "تقلب الألف ياء عند هذيل" قد يوهم أنّ الألف هي الأصل القديم، والياء تطور لها، والحق أن يعكس هو الصحيح، فالأصل هو وجود الواو والياء في كثير من الكلمات قبل أن تتطور هذه الواو أو الياء إلى ألف، ومن ذلك قولهم: "أفَعُو" يريدون "أفَعَى"، وقد سبق أن ذكرنا أنّ هذا الطور الأول من أطوار النطق في مثل هذا اللفظ الذي تطور في اللهجة القرشية إلى الألف، فصار (قفا)، (وأفَعَى)...، ولكنه وقف عند كثير من القبائل البدوية لا يتطور؛ فعصا كانت تنطق عندهم "عَصُو، وهُدَى (هدئ)، وبشري (بشري)، وهكذا." (2)

ونستدل على صدق وقوفها عند الطور الأول من الأطوار بالتغير الذي يطرأ على الاسم المقصور عند التنثية، فالألف في (فتى) عند التنثية تتحول إلى ياء (فتيان)، فتحوّلت الألف من صوت مد طويل إلى ياء لين، ونرجح بأنها عادة إلى أصلها، ولا ننكر التفسير الصوتي لهذه القلب للتخلص من محذور مقطعي كما يفسره زيد القرآلة، فيقول: "والحقيقة أنّ هذا التعليل نتاج سطوة نظرية الأصل والفرع، وسيطرتها على آراء القدماء، والأمر لا يتجاوز إبدال ألف المقصور (وهي صوت مد) ياء لين يمكن ابتداء المقطع بها، والحقيقة أنّ الألف في المقصور تبدل ياء لين؛ لأنّ ياء اللين يمكن أن يبدأ المقطع الصوتي بها، أمّا الألف فهي صوت مد لا يمكن أن تكون بداية مقطع." (3)

– التماثل بين ألف المقصور والياء في فعلى عند طيئ

تلحق الاسم الألف الرابعة للتأنيث على وزن (فعلى)، إلا أنّ هذه الألف تتقلب ياءً في لغة بعض القبائل، فيقول سيبويه: "وذلك قول بعض العرب في أفعى: هذه أفعى؛ وفي حُبلى: هذه حُبلى؛ وفي مثنى: هذا مثنى. فإذا وصلت صيرتها ألفاً. وكذلك كل ألف في آخر الاسم. حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناسٍ من قيس؛ وهي قليلة...، وأما طيئ"

(1) رابن، تشييم (2002م)، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص178-179.

(2) الطيب، عبد الجواد (2008م)، من لغات العرب: لغة هذيل، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص77.

(3) القرآلة، زيد (2013م)، التوجيه الصوتي للإعراب التقديري "دراسة في إعراب المنقوص والمقصور"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية،

ع45، الإمارات، ص161.

فزعوا أنهم يدعونها في الوصل على حالها في الوقف؛ لأنها خفية لا تحرك، قريبة من الهمزة.⁽¹⁾

ويتحدث أبو حيان عن اللغات في ألف المقصور، ففريق من فزارة وقيس يقبلونها ياءً، وبعض طيئ يقبلونها واواً، فيقول: "ولغة لفزارة وناس من قيس، يقبلون الألف الموقوف عليها ياء يقولون: هذه أفعي ومررت بأفعي وهي قليلة، وبعض طيئ يقبلها واواً يقول: هذه أفعو، ورأيت أفعو، ومررت بأفعو."⁽²⁾

نلاحظ أنّ الحالات الصوتية التي تعرضت لها ألف الاسم المقصور في الوقف، تظهر في تحول ألف المد إلى ياء لين أو واو لين، ويظهر التحول المقطعي عند الوقف عليه، فتغير المقطع الصوتي من المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح)، إلى المقطع الصوتي المتوسط المغلق بصامت (ص ح ص)، ويظهر ذلك كما يلي:

أفعي	←	af, ā	←	ص ح ص / ص ح ح
أفعي	←	af, ay	←	ص ح ص / ص ح ص (لغة فزارة وقيس)
أفعو	←	af, aw	←	ص ح ص / ص ح ص (لغة بعض طيئ)

ويفسر لنا سيوييه سبب قلب الألف واواً؛ لأنّ الواو أبين من الياء، وللتشابه المخرجي بينها وبين الألف، فيقول: "حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب؛ وزعموا أنّ بعض طيئ يقول: أفعو، لأنها أبين من الياء، ولم يجيئوا بغيرها لأنها تشبه الألف في سعة المخرج والمد؛ ولأنّ الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء، وتبدلان مكان الألف أيضاً؛ وهن أخوات."⁽³⁾

ويتحدث علم الأصوات الحديث عن الفرق بين هذه الصوائت من جانبي الكمية (quantity) وتقاس بالمدة الزمنية التي يحتاجها الأداء النطقي للصوت، والكيفية (quality) التي يتشكل بها جهاز النطق عند تحقيقها، فالعلاقة بين الألف والواو هو الدافع عند سيوييه في انقلاب هذه الألف واواً في لغة بعض القبائل، وهنا يظهر التناقض في تعليقه في الحالة السابقة التي قلبت فيها ألف المقصور ياءً، فالطبيعة المخرجية تُظهر أنّ الياء أكثر قريباً وتشابهاً للألف من الواو، فالألف حركة أمامية منفتحة طويلة (ā)، والياء حركة أمامية ضيقة طويلة (ī)، والواو حركة خلفية ضيقة طويلة (ū).

أما أصوات اللين، فالواو (w) نصف صائت لهوي مجهور مدور، والياء (y) نصف صائت حنكي مجهور مدور، عند النطق به يكون اللسان تقريباً في موضع نطق الضمة (u)، أي أنّ الجزء الخلفي في اللسان يكون لدى النطق قريباً من

(1) سيوييه (1988م)، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص181.

(2) أبو حيان، محمد بن يوسف (1998م)، ارتشاف الضرب، ج2، تح: رجب عثمان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص802.

(3) سيوييه (1988م)، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص181.

الحنك اللين، إلا أنّ الفجوة بين اللسان والحنك في حال نطق نصف الصائت هذا تكون أضيق منها في حال النطق بالضمّة، وعند نطق الياء (y) يكون اللسان تقريباً في موضع نطق الكسرة (i)، أي أنّ الجزء الأمامي من اللسان يكون قريباً من الحنك الصلب، إلا أنّ الفجوة بين اللسان والحنك حين النطق بنصف الصائت هذا تكون أضيق منها في حال النطق بالصائت. (1)

ويبقى معيار الوضوح والخفاء عند سيبويه غامضاً، وقد نقلنا إلى فكرة الملامح فوق التركيبية (extralinguistic features)، فالقلب بين ألف المقصور والياء والواو قد تكون نمطاً لغوياً يؤدي دوراً دلالياً، اعتماداً على الكمية الصوتية التي تظهر في تحول صوت المد إلى صوت لين، نتيجة للحالة النفسية للمتكلم كما يحدث ذلك في التنغيم، فيقول يحيى علي: " فإنّ الطول في هذه الحالات يتفاوت تفاوتاً كبيراً وفقاً للظروف النفسية، ودرجة المبالغة التي يريد المتكلم أن يعبر عنها، ووفقاً لتصنيف البنائين الأمريكيين فإنّ تطويل الحركة في مثل هذه الحالات يدخل ضمن الملامح ما فوق اللغوية (extralinguistic features) وهي ملامح يفهم منها أفراد البيئة اللغوية أنها تؤدي دوراً دلالياً، ولكنها لا تكون قابلة للتعيد في البنية الصوتية". (2)

– التماثل بين (العين والهاء) والحاء في لغة بني تميم

تغلب الحاء على العين والهاء في لغة بني تميم، فيقولون: "محم يريدون: معهم، فأبدلت فيها العين والهاء حاء، ويتبع هذا الإبدال إدغام التماثلين، يقول سيبويه: "وإذا أردت الإدغام حولت العين حاء ثم أدغمت الهاء فيها فصارتا حاءين. والبيان أحسن. ومما قالت العرب تصديقاً لهذا في الإدغام قول بني تميم: محم، يريدون: معهم، ومحوّلاء، يريدون: مع هؤلاء". (3)

نلاحظ أنّ التقارب المخرجي بين العين والحاء أقوى منه في الهاء، فالحاء والعين مخرجهما واحد، والهاء مختلف عنهما، فيتحدث ابن عصفور عن ذلك، فيقول: "فإنّ اجتمعت مع العين فالبيان، تقدّمت العين أو تأخرت، ولا يجوز الإدغام إلا أنّ تقلب العين والهاء حاء، ثمّ تُدغم الحاء في الحاء. وذلك نحو قولك: اجبجئبة واقطّخاذا وذهب محم، تريد: اجبه عئبة واقطّح هذا وذهب معهم. وهي كثيرة في كلام بني تميم". (4)

(1) بركة، بسام (1988م)، علم الأصوات العام، ط1، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص139.

(2) علي، يحيى (2013م)، طول الحركة في اللغة العربية وعلاقته بالبنية المقطعية، م 29، ع 3+4، مجلة جامعة دمشق، ص 126.

(3) سيبويه (1988م)، الكتاب، ج4، مرجع سابق، ص 450.

(4) ابن عصفور، علي بن مؤمن (1996م)، الممتع الكبير في التصريف، ط1، مكتبة لبنان، ص 432.

يتحدث الجندي عن هذه العلاقة بين حروف الحلق، فيقول: "والحق أنّ حروف الحلق أقل الحروف تألفاً في الكلام، وذلك لصلابة عضلة الحلق إذا قيست بمرونة عضلة اللسان والشفنتين، فليست عضلة الحلق من المرونة بحيث تسمح باجتماع حروفه في كلمة،...، فبين الهاء والعين خلاف في الهمس والرخاوة والشدة والجهر ممّا جعلهم يطلبون حرفاً متوسطاً بينهما وهو الحاء، فقلبت العين حاءً، فصار: مخم، وهذا تأثر رجعي شاع في اللهجات العربية، ثم حدث تطور آخر، إذ تأثرت الهاء بالحاء تأثراً كاملاً حتى فنيت فيها، فصارت (مخّم)، وهذا تأثر تقدمي نادر الحدوث في العربية."⁽¹⁾

وتتدرج هذه المراحل الصوتية التي مرت فيهما عملية الإبدال الصوتي والإدغام في معهم دون أن تتأثر البنية

المقطعية، ويظهر ذلك كما يلي:

ص ح ص / ص ح ص	←	ma.hum	←	م 1 مَفْهُم
ص ح ص / ص ح ص	←	maḥhum	←	م 2 مَخْمُوم
ص ح ص / ص ح ص	←	maḥḥum	←	م 3 مَخْمُوم

ويرجح تفسير إدغام أبي عمرو من هذا القبيل، فهو من تميم، فيقول ضاحي عبد الباقي: "ومن الجائز جداً أنه قرأ بهذه الطريقة؛ لأنه وجدها تتفق ولغة قومه التي درج عليها،...، وعند أبي عمرو يمكن أن يكون الصوت المدغم متحركاً بشرط أن يكون الصوتان من كلمتين، كما هو الشأن في هذا اللفظ المركب من كلمتين هما: (مَع) و (هُم)."⁽²⁾

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ علم الأصوات الحديث ينظر إلى الإبدال بوصفه جزءاً من المماثلة بشرط وجود صوت ثالث يكون مؤثراً في أحد الصوتين من ناحية، وحضور العلاقة الصوتية بين الصوت الناتج عن المماثلة والمؤثر من ناحية أخرى، فإذا غابت هذه العلاقة تحول المصطلح إلى تماثل صوتي.

ونستنتج من صور التماثل الصوتي في لغات العرب الشاذة أنّ هذه الظاهرة لم تكن اعتباطية، بل خضعت لمعايير المماثلة التي أقرها علم الأصوات الحديث، فهي تعتمد على قوة ذاتية في الصوت المؤثر تجعله أكثر ثباتاً واستقراراً في مقابل

(1) الجندي، أحمد علم الدين (1983م)، اللهجات العربية في التراث، ج 1، ط.ج، الدار العربية للكتاب، ص 303.

(2) عبد الباقي، ضاحي (1985م)، لغة تميم/ دراسة تاريخية وصفية، ط 1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ص 160.

عناصر صوتية في الصوت المتأثر تجعله أكثر عرضة للتغيير والإبدال من ناحية، ولا تقل موقعية الصوت أهمية عن هذا المعيار من ناحية أخرى، فتجاور الصوتين أو تقاربهما له أثر كبير في حدوث ظاهرة المماثلة وتحديد نوعها.

النتائج والتوصيات

ونختم هذا الجهد المتواضع بعرض مجموعة من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، ومنها:

النتائج:

- 1- كشفت الدراسة عدم تفریق بعض علماء اللغة المحدثين بين مصطلحي التماثل الصوتي والمماثلة الصوتية، بل استخدموا مصطلح التماثل مرادفاً لمصطلح المماثلة دون النظر إلى ضرورة وجود صوت ثالث مؤثر لتحقيق المماثلة الصوتية.
- 2- ظهر من الدراسة دور قانون المماثلة الصوتية القائم على الإبدال بين صوتين بوجود مؤثر في تحقيق الانسجام الصوتي في لغات العرب الشاذة، إلا أنّ هذا القانون لم يطرد في هذه اللغات؛ فقد يتحول الأضعف إلى الأقوى.
- 3- أظهرت الدراسة أهمية دراسة الظاهرة اللغوية ضمن سياقها الزمني والمكاني الذي أحاط بالإنتاجية اللغوية للمتكلم، فدراسة اللغة في ذاتها لذاتها هي منهجية تقوم على دراسة اللغة بعيداً عن المعيارية ولا تقتضي فصلها عن سياقاتها التاريخية.
- 4- كشفت الدراسة وجود ازدواجية لغوية مبكرة عند القبائل العربية في الجزيرة العربية، فاللغة المستخدمة في المشافهة تختلف عن اللغة المعيارية أو الموحدة التي ظهرت في نصوص الشعر والنثر.
- 5- للمقطع الصوتي والتحليل الصوتي المقطعي أثر في توجيه وتفسير صور المماثلة الصوتية والتماثل الصوتي وتفسير ظواهرها في اللغات الشاذة.
- 6- ظهر من الدراسة أن الإدغام هو نتيجة للتماثل الصوتي وليس هو التماثل نفسه، فلا يعد كل إدغام مماثلة صوتية، فإدغام المثليين تضعيف وليس مماثلة، فالإدغام الذي يختص بظاهرة المماثلة هو الصورة النهائية لبعض حالات الإبدال الناتجة عن المماثلة الصوتية ولا يعد منها.

التوصيات

1- التوسع في دراسة صور التماثل الصوتي في لغات العرب الشاذة بعيداً عن التعصب للقواعد المعيارية التي قعدها النحاة.

2- البحث عن مرجعيات صور التماثل الصوتي في القراءات القرآنية الشاذة في لغات العرب الشاذة للوصول إلى تفسيرات منطقية للظواهر اللغوية الخلافية التي ظهرت فيها.

3- دراسة لغات العرب الشاذة وفق منهج اللسانيات الجغرافية لمحاولة تفسير ظواهرها.

ختاماً أدعو الله أن يكون هذا الجهد مفيداً، وأن يكون خالصاً لله سبحانه وتعالى، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- ابن الأثير، المبارك بن محمد (1979م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي(ط1). بيروت: المكتبة العلمية.
- الأخفش، أبو الحسن المجاشعي (1990م)، **معاني القرآن(ط1)**. القاهرة: الخانجي.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف:
- (1998م)، **ارتشاف الضرب**، تح: رجب عثمان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- (1999م)، **البحر المحيط(ط1)**. بيروت: دار الفكر.
- أنيس، إبراهيم:
- (1975م) **الأصوات اللغوية (ط5)**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- (2003م)، **في اللهجات العربية**، (ط3) القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بركة، بسام(1998م)، **علم الأصوات العام(ط1)**. بيروت: مركز الإنماء القومي.
- الجندي، أحمد علم الدين(1983م)، **اللهجات العربية في التراث**، ط.ج، القاهرة: الدار العربية للكتاب.
- ابن جني، عثمان بن جني:
- (2006م)، **الخصائص(ط4)**. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- (2000م)، **سر صناعة الإعراب**، (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

- (1998م)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، تح: علي السعدي، وعبد الفتاح شلبي (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- رابين، تشيم (2002م)، اللهجات العربية القديمة في الجزيرة العربية، تر: عبدالكريم مجاهد (ط1). عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (1988م)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده (ط1). بيروت: عالم الكتب.
- السامرائي، إبراهيم (1961م)، دراسات في اللغة (ط1). بغداد: مطبعة العاني.
- سيبويه، عمرو بن عثمان (1988م)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر:
- (1998م): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي، (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- (2006م)، الاقتراح في أصول النحو، (ط2). دمشق: دار البيروتي.
- شاهين، عبد الصبور (2007م)، تاريخ القرآن، (ط3). مصر: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر.
- الطيب، عبد الجواد (2008م)، من لغات العرب: لغة هذيل، (ط1). القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.
- عبابنة، يحيى (2015م)، التدرج الصوتي القائم على الأفضلية في دراسات العلماء العرب، مج12 (2)، عمان: مجلة اتحاد الجامعات العربية.
- عبد الباقي، ضاحي (1985م)، لغة تميم/ دراسة تاريخية وصفية (ط1). القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- عبدالنواب، رمضان (1985م)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ط1). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن (1996م)، الممتع الكبير في التصريف (ط1). بيروت: مكتبة لبنان.
- علي، يحيى (2013م)، طول الحركة في اللغة العربية وعلاقته بالبنية المقطعية، مج (29): (ع 3+4) دمشق: مجلة جامعة دمشق.
- الفراء، يحيى بن زياد (1988م)، معاني القرآن، تح: أحمد النجاشي وآخرين (ط1). القاهرة: الدار المصرية للتأليف.

- القراله، زيد (2013م)، *التوجيه الصوتي للإعراب التقديري "دراسة في إعراب المنقوص والمقصور"*، (ع45)، الإمارات: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- الكرمانى، محمد بن أبى نصر (2001م)، *شواذ القراءات*، تح: شمران العجلي (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن مالك، محمد بن عبد الله:
- (1967م)، *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد*، تح: محمد كامل، (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.
- (1990م)، *شرح التسهيل*، تح: عبد الرحمن السيد (ط1). السعودية: هجر للطباعة.
- المبرد، محمد بن يزيد (1997م)، *الكامل في اللغة والأدب*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط3). القاهرة: دار الفكر العربي.
- المصاروة، جزاء محمد (2017م)، *المماثلة في العربية/ رؤية جديدة*، مج(44):ع(3)، الأردن: مجلة دراسات.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (1993م)، *لسان العرب* (ط3). بيروت: دار صادر.
- الهذليون، الشعراء (1965م)، *ديوان الهذليين*، ترتيب: محمد الشنقيطي (ط1). القاهرة: الدار القومية للنشر.
- ابن يعيـش، يعيـش بن يعيـش (2004م)، *شرح المفصل*، تح: إميل يعقوب (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Ababneh, Yahya (2015 AD), *Phonetic Ranking Based on Preference in the Studies of Arab Scholars, Part 12, Part 2, Amman, Journal of the Association of Arab Universities.*
- Abdel-Baqi, Dahi (1985 AD), *Tamim Language / Descriptive Historical Study, 1st edition, Cairo, General Authority for Amiri Press Affairs.*
- Abdel Tawab, Ramadan (1985 AD), *Introduction to Linguistics and Linguistic Research Methods, 2nd edition, Cairo, Al-Khanji Library.*
- Al-Akhfash, Abu Al-Hasan Al-Mujashi 'i (1990 AD), *The Meanings of the Qur'an, 1st Edition, Cairo, Al-Khanji.*
- Ali, Yahya (2013 AD), *The length of the vowel in the Arabic language and its relationship to the syllabic structure, ed. 29, p. 3 + 4, Damascus, Damascus University Journal.*

- *Al-Andalusi, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf*
 - (1998 AD), *Irtisaf al-Darab, ed.: Rajab Othman, 1st edition, Al-Khanji Library, Cairo: Al-Khanji Library.*
 - (1999 AD), *Al-Bahr Al-Muheet, edited by: Sidqi Muhammad, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Fikr*
- Anis, Ibrahim:
 - (1975 AD) *Linguistic Voices, 5th Edition, Cairo, Anglo-Egyptian Bookshop.*
 - (2003 AD), *On Arabic Dialects, 3rd Edition, Cairo, Anglo-Egyptian Bookshop.*
- *Ibn Asfour, Ali Bin Moamen (1996 AD), Al-Mutti' Al-Kabir fi Al-Tasrif, 1st edition, Beirut, Lebanon Library.*
- *Ibn Al-Athir, Al-Mubarak bin Muhammad (1979 AD), The End in Gharib Al-Hadith and Al-Athar, edited by: Taher Al-Zawi and Mahmoud Al-Tanahi, 1st edition, Beirut, the Scientific Library.*
- *Baraka, Bassam (1998AD), General Phonology, 1st Edition, Beirut, National Development Center.*
- *Al-Fara, Yahya bin Ziyad (1988 AD), The Meanings of the Qur'an, edited by: Ahmed Al-Najati and others, Cairo, the Egyptian House of Authoring.*
- *Ibn Jinni, Othman bin Jinni:*
 - (1998 AD), *Al-Muhtaseb fi Tabeen Ujooth Abnormal Readings, edited by: Ali Al-Saadi, and Abdel-Fattah Shalabi, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Alami.*
 - (2000 AD), *The Secret of Syntax Syntax, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya.*
 - (2006 AD), *Al-Khasa'is, 4th Edition, Cairo, The Egyptian Book Organization*
- *Al-Jundi, Ahmed Alam al-Din (1983), Arabic Dialects in Heritage, ed., Cairo: Arab House for Books.*
- *Al-Hathaliyon, The Poets (1965 AD), Diwan Al-Hathaliyin, arranged by: Muhammad Al-Shanqeeti, 1st Edition, Cairo, National Publishing House.*
- *Al-Karmani, Muhammad bin Abi Nasr (2001 AD), abnormal readings, edited by: Shamran Al-Ajli, 1st edition, Beirut, Al-Risala Foundation.*

- *Ibn Malik, Muhammad bin Abdullah: 16*
 - (1967 AD), *Facilitating Benefits and Complementing the Purposes*, Edited by: Muhammad Kamel, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
 - (1990 AD), *Explanation of Facilitation*, edited by: Abd al-Rahman al-Sayyid, 1st Edition, Saudi Arabia, Hajar for printing.
- *Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram (1993 AD), Lisan Al-Arab, 3rd Edition, Beirut, Dar Sader.*
- *Al-Masarwa, Jazaa Muhammad (2017 AD), Similarity in Arabic / A New Vision, Article 44, Part 3, Jordan, Studies Journal.*
- *Al-Mubarrad, Muhammad bin Yazid (1997 AD), Al-Kamil in Language and Literature, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 3rd Edition, Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi.*
- *Al-Qarala, Zaid (2013 AD), Voice Guidance for Appreciative Syntax, "A Study in the Syntax of the Imperfect and the Incomplete", p. 45, Emirates, Journal of the College of Islamic and Arabic Studies.*
- *Rabin, Chem (2002 AD), Ancient Arabic Dialects in the Arabian Peninsula, Refer: Abd al-Karim Mujahid, 1st edition, Amman, The Arab Institute for Studies and Publishing.*
- *Al-Samarrai, Ibrahim (1961 AD), Studies in Language, 1st Edition, Baghdad, Al-Ani Press.*
- *Shaheen, Abdel-Sabour (2007 AD), History of the Qur'an, 3rd edition, Egypt, Nahdet Misr Company for Printing and Publishing.*
- *Sibawayh, Amr bin Othman (1988 AD), the book, edited by: Abd al-Salam Muhammad Haroun, 3rd edition, Cairo, Al-Khanji Library.*
- *Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr:*
 - (1998 AD): *Al-Mizhar in Language Sciences and its Types*, edited by: Fouad Ali, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Alami.
 - (2006 AD), *Proposal in the Fundamentals of Grammar*, 2nd edition, Damascus, Dar Al-Beirouti.
- *Al-Tayyib, Abdel-Gawad (2008 AD), From the Languages of the Arabs: The Language of Hudhail, 1st edition, Cairo, Al-Azhar Library for Heritage.*

